تفسير سورة الاعراف الحلقة 50

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ(89)**

ذكر العلامة الطباطبائي: إن التوكل هو إرجاع أمر التأثير إلى الله تعالى وحده، أن يعتقد الشخص المتوكل أن التأثير في الوجود في كل شيء هو لله سبحانه وتعالى ومنحصر عند الله. وذكر محمد مهدي النراقي في جامع السعادات: إن التوكل هو التبرؤ من كل حول وقوة، والاعتماد على حول الله وقوته، وأنه لا مؤثر في عالم الوجود إلا الله، وأنه ليس وراء منتهى قدرته قدرة، ولا وراء منتهى علمه علم، ولا وراء منتهى عنايته عناية، فكل شيء يكون في نظر المتوكل هو الله سبحانه وتعالى.

البيان:

قوله تعالى: "وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علمًا. على الله توكلنا" هذا ترقيمٌ كما مر الحديث سابقًا ترقيمًا عن إمكان العودة إلى ملتهم إلى الاستحالة. يُذكر هنا هذا الترقيم لبيان الاستحالة، يعني يقول مستحيل أن أعود إلى ملتكم، ولكن هذا الترقيم نفسه يذكر الاستحالة. يقولون من غير اشتراط مشيئة الله لا يناسب النبي، النبي لا يمكن أن يتفاخر؛ لأنه إذا قال: "يستحيل أن أعود" كأنه نسب الإرادة إلى نفسه، وهذا لا يمكن، أن ينسب النبي أن يدعي ذلك، ولكنه يقيده بمشيئة الله، لذلك قال تعالى: "إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علمًا".

لماذا هذا التقييد بالمشيئة؟ لأن الهداية والضلال إنما هو بإرادة الله، لا يمكن أن يستمر الإنسان أن يهتدي أولاً ولا يمكن أن يستمر في هدايته إلا بمشيئة الله، لذلك يقيدها بمشيئة الله سبحانه وتعالى. "إلا أن يشاء الله ربنا". ذكر أيضًا الله ربنا اشارة إلى الربوبية، أن الإيمان الحقيقي ليس هو ما يعتقده الوثنيون من قوم شعيب، قومه يعتقدون بالله ولكن يعتقدون بأرباب متفرقة وأن الأرباب المتفرقة هم الذين يؤثرون رب مسؤول عن الرزق ورب مسؤول عن الأمور الشر مثلاً وعن الخير وغير ذلك من التفصيل. مرة هنا هذا ترقٍ لبيان الاستحالة. يقول مستحيل أن أعود، ولكن هذا الترقي نفسه وذكر الاستحالة يقولونه من غير اشتراط.

مشيئة الله لا يناسب النبي، النبي لا يمكن أن يتفاخر؛ لأنه إذا قال: "يستحيل أن أعود" كأنه نسب الإرادة إلى نفسه، وهذا لا يمكن. أن ينسب النبي أن يدعي ذلك ولكنه يقيده بمشيئة الله، لذلك قال تعالى: "إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علمًا".

لماذا هذا التقييد بالمش

يئة؟ لأن الهداية والضلال إنما هو بإرادة الله، لا يمكن أن يستمر الإنسان أن يهتدي أولاً ولا يمكن أن يستمر في هدايته إلا بمشيئة الله، لذلك يقيدها بمشيئة الله سبحانه وتعالى. "إلا أن يشاء الله ربنا". ذكر أيضًا الله ربنا اشارة إلى الربوبية، أن الإيمان الحقيقي ليس هو ما يعتقده الوثنيون من قوم شعيب، قومه يعتقدون بالله ولكن يعتقدون بأرباب متفرقة وأن الأرباب المتفرقة هم الذين يؤثرون رب مسؤول عن الرزق ورب مسؤول عن الأمور الشر مثلاً وعن الخير وغير ذلك من التفصيل. الاعتقاد بالربوبية حقيقته هي لله سبحانه وتعالى كما أن الخالقية لله. "وسع ربنا كل شيء علمًا"، أي نحن كارهون للعودة إلى ملتكم ولكن لا نعلم بعواقب الأمور. فربما نظل وننحرف، فإننا نتوكل على الله ونرجو أن يعصمنا الله من الانحراف والضلال، فليس بيدنا شيء إلا التوكل على الله سبحانه وتعالى.

قوله تعالى "على الله توكلنا" اشارة إلى:

1- التسليم لأمر الله وإرادته واختياره. فهو يقول: أنا مسلم لأمر الله تسليمًا كاملًا مطلقًا من غير شرط في كل شيء.

2- أيضاً يبين أننا على الله توكلنا، فيخاطب قومه شعيب فيقول: "أنتم تهددوننا بإخراجنا. نحن لا نخاف لأننا متوكلين على الله. توكلنا على الله ومن يتوكل على الله لا يخاف". كما يأتي، أنه التوكل على الله يجعل الشخص قويًا يجعله مطمئنًا وواثقًا من نفسه.

أركان التوكل:

التوكل له أركان، كيف يمكن للشخص أن يتوكل على شخص، فما بالك بالله؟ التوكل والتوكيل له أركان. من أركان التوكل على الله:

1. العلم الإلهي، "وسع ربنا كل شيء علمًا"، لأن الله عالم بكل شيء نتوكل عليه لأنه يعلم بكل شيء. فلا يمكن أن نعتمد على شيء وهو يجهل به، هو يعلم بتفاصيل الأمور. عندما أجعل وكيلاً لي في شيء، أعتقد أنه يعلم تفاصيل ما أوكله إليه. الله سبحانه وتعالى وكيلنا في كل شيء، هو يعلم بكل شيء في الوجود.

2. القدرة الربانية، أعتقد بقدرة الله وأنه قادر على كل شيء، فلا أوكله في شيء ولا تطاله يده لا يتمكن من الوصول إليه. أوكله في أموري كلها لأنه قادر على كل شيء. "ولله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون" كل شيء تحت قدرة الله وتصرفه.

3. البيان والهداية، أتوكل عليه متى إذا بين لي وجعلني على بصيرة من أمري، من غير بيان ومن غير هداية لا يمكن أن أتوكل عليه. لابد أن أثق فيه ولا بد أن يكشف لي الطريق حتى يحصل هذا الوثوق. قال تعالى: "وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون" توكلنا عليه لأنه هدانا سبلنا، أوضح لنا الطريق، جعل ما نسير فيه في مواجهة المشركين والوثنيين بينا وواضحًا. فنحن فيه هداية وتوكلنا على الله.

4. الغنى وعدم البخل، نتوكل على الله كما يقول الإمام الباقر سلام الله عليه: من أركان التوكل أنني أعتقد بغنى الله، أنه غني وأنه ليس بخيل، يستطيع أن يعطي ولا يبخل على أحد.

فوائد وآثار التوكل:

1) الفوز بمحبة الله، الذي يتوكل على الله يجني ثمار هذا التوكل ويحصد فوائد لهذا التوكل. من ضمن هذه الفوائد الفوز بمحبة الله، التي هي طريق لكل خير. إذا توكلت على الله، فتحت لك الطريق لكل خير، كل شيء يكون متيسرًا. "إن الله يحب المتوكلين". تصير محبوبًا لله، فإذا أحبك الله جعلك قادرًا على كل شيء.

2) الكفاية والنصر، من يتوكل على الله كفاه الله ما يخاف. كل شيء تخاف منه تكون في مأمن منه. قال تعالى: "ومن يتوكل على الله فهو حسبه" لأنه يتوكل على الله، فلله حسبه، يعني يقف له ويكفيه. وعن الإمام الباقر سلام الله عليه قال: "من توكل على الله لا يغلب، ومن اعتصم بالله لا يهزم".

3) العز والغنى بالتوكل، عن الإمام الصادق سلام الله عليه: إن الغنى والعز يجولان، فإذا ظفرا بموضع التوكل أوطنا، العز والغناء كأنهما يجولان من مكان إلى مكان فمن وجداه متوكلا على الله بقي عنده فصار عزيزا وظافرا وقادرا وقال عليه السلام: من أعطيه ثلاثا لم يمنع ثلاثه من أعطي الدعاء أعطي الإجابة لذلك أدعو دائما لأن الدعاء إن وفقت للدعاء لا يمكن أن يرد لابد أن يكون بين الدعاء والدعاء إجابة، ومن أعطي الشكر أعطي الزيادة، ومن أعطي التوكل أعطي الكفاية.

4) الشجاعة والإقدام وعدم الخوف، عن الإمام الرضا سلام الله عليه: من أراد أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، تريد أن تكون قويا يتوكل على الله يكون قوي، وعن أمير المؤمنين سلام الله عليه قال: كيف أخاف وأنت أملي وكيف أضام وأنت متكلي، إذن يكون قويا ولا يخاف.

5) البصيرة والوعي بالتوكل، من يتوكل على الله يُضيء له الشبهات وكفى المؤونات وآمن التبعات لأنه توكل على الله يعلم ذلك كله، التوكل على الله بقدر اعتقاد الشخص، التوكل على الله بقدر ما يعتقد الشخص، لذلك تجد التوكل متفاوت من شخص لآخر، يقال في زمن النبي صلى الله عليه واله، شخص جاء ووقف ناقته ونزل يطوف بالبيت ثم خرج وبحث عن ناقته أين ذهبت قال أنا وقفت ناقتي هنا وتوكلت على الله، يقال له النبي صلى الله عليه واله أمسكها وتوكل، يعني اربطها وتوكل، وشخص آخر جاء أيضا عمل كذلك ووقف ناقته وذهب ثم جاء وقال أنا وضعت ناقتي هنا أين هي؟ توكلت عليك يا الله، يقول السيد دستغيب وإذا بها ترجع، يقول هذا توكله يختلف عن ذلك فتوكل من شخص لآخر يختلف والرتب تختلف؛ توكل الأنبياء أيضا يختلف حتى الأنبياء يختلفون بل حتى النبي الواحد كما أشير الآن إلى رتبه ثلاث الأنبياء أيضا في توكلهم يختلفون والنبي الواحد قد يختلف من وقت إلى وقت، روي عن نبي الله إبراهيم عليه السلام حيث أن

ه أمر نمرود بجمع الحطب في سواد الكوفة وقد أوقد النار فعجزوا عن رمي إبراهيم فعلمهم إبليس المنجنيق فرمي به فتلقاه جبرائيل في الهواء فقال له هل لك من حاجة فقال أما لك فلا لك يا جبرائيل فلا ليست لي حاجة حسبي الله ونعم الوكيل فاستقبله ميكائيل فقال لو شئت طيرت النار قال لا أريد فقال جبريل فاسأل الله فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي؛ يعني حتى السؤال درجة من التوكل مع أن إبراهيم سأل الله في مواضع مختلفة ولكن في هذا الموضوع حتى سؤال لم يسأل، إذن أذكر مراتب التوكل وأختم الكلام:

المرتبة الأولى: الثقة بالوكيل، أنت عندما تتوكل شخص في شيء تثق فيه ثقة تامة، إنه سيعمل ما وكلته بمقتضى توكيلك هذه ثقة منك في الوكيل، هذه ثقة بالله أنك تثق بالله وأنه سيحقق ما تريد هذا توكل على الله ولكنه يقولون أضعف الرتب، لماذا؟ لأنك تتوكل وأنت ملتفت لتوكيلك وأنت ملتفت إلى آخرين فقط تتوكل في شيء وتنظر إلى غيره أيضا فهي أضعف الرتب.

الرتبة الثانية: أنك لا تلتفت إليه يقولون، يقول صاحب جامع السعادات توكله ولا تلتفت له كالطفل مع أمه الصغير جداً مع أمه يعتمد عليها ويثق بها ولا يلتفت إلى غيرها ولا يذهب إلى غيرها ولا يلتفت إلى توكيله وهو التوكل الخواص على الله سبحانه وتعالى لا يلتفتون إلى شيء إنما الثقة التامة بالله سبحانه وتعالى.

الرتبة الثالثة: وهي الانقطاع التام حتى عن السؤال الذي ذكرنا مثاله النبي إبراهيم يصل في العروج لله والانقطاع لله فيسلم أمره كل ميت على المغتسل لا يلتفت إلى شيء كأنه يقلب تقليباً يميناً ويساراً متكلاً على الله تماماً وهو ما يكون عند خواص الخواص وفي حالات نادرة وليس دائماً كالنبي إبراهيم.

قوله تعالى: "ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين" التجئ شعيب إلى الله سبحانه وتعالى وطلب أن يفتح الله بينه وبين قومه بمعنى يحاكم ويقاضي بينه وبين قوم، "افتح بيننا وبين قومنا" يعني اجعل بيننا فاصلاً واكشف الحقائق وجعلنا في مأمن منهم.